

تاسعاً: عقيدة الهرمجدون

من العقائد المشتركة بين اليهود والنصارى، الاعتقاد بمجيء يوم يحدث فيه صدام بين قوى الخير وقوى الشر، وتبين فيما سبق أن ٨٥ مليون أمريكي^(١) يعتقدون بأن حديث الإنجيل عن تدمير الأرض بالنار يعني أن الأرض ستدمر في حرب نووية فاصلة لا مفر منها.

ومن العجيب أن رجال الدين النصارى من المبشرين وغيرهم يُدّعون في المسيحيين هذا الاعتقاد ويُحيونه، متبعين في ذلك اليهود أحياناً، ومستقلين بالاعتقاد أحياناً أخرى.

ولقد جنى هؤلاء المبشرون الكثير من الفوائد والمغانم من وراء زرع الشعور بدُنُو القيامة في الناس، ولا شك أن الحديث عن غيبيات ستحدث وربطها بغيبيات حدثت يجذب الانتباه بقوة، ويجلب بإلحاح وشدة نظر من يُوجه إليه الحديث، فالخوف من المجهول وترقب المنتظر أمر طبيعي في مكنون النفس البشرية.

ولم يُقصر رجالهم في استغلال تلك المشاعر، وراحوا يُؤججون نيران الحماسة في الناس للمساهمة في صنع الأحداث الجسام التي ستسبق مجيء اليوم الآخر، ومن تلك الأحداث طبعاً عودة اليهود إلى فلسطين واستيلاؤهم على القدس، وهدمهم للأقصى وابتناؤهم للهيكل، ومن ثم انتظارهم لمجيء المسيح وحدوث المعركة الفاصلة بين قوى الخير وقوى الشر، أو ما يعرف بمعركة (مجدو)

(١) حسب إحصاء أجري في الثمانينيات.

أو (الهرمجدون). و(مجدو) التي تنسب إليها تلك المعركة هي أرض في فلسطين يسميها اليهود والنصارى بهذا الاسم بحسب ما ورد في مصادرهم، وهي تبعد ٥٥ ميلاً عن تل أبيب، وفي موقع يبعد ٢٠ ميلاً جنوب شرق حيفا، على بعد ١٥ ميلاً من شاطئ المتوسط.

وترتبط في الاعتقاد القديم بأنها الأرض التي كان الفاتحون القدامى يعتقدون أن أي قائد يسيطر عليها يمكنه أن يصمد أمام الغزاة، ويعتقد اليهود ومن تبعهم في ذلك من النصارى: أن جيشاً من مائتي مليون جندي يأتون إلى (مجدو) لخوض حرب نهائية.

أما عن علاقة هذا اليوم بقضية الأرض المقدسة وبناء الهيكل ومجيء المسيح فإن النصارى الإنجيليين يعتقدون بأنه لن يكون هناك سلام حقيقي في الشرق الأوسط ولا في العالم إلى أن يأتي المنتظر الموعود، ويجلس المسيح على عرش داود في القدس ويحارب أعداء إسرائيل.

والمبشرون والقسس من أمثال (جيرى فالويل)، و (هول لندسي)، و(بات رويرتسون)، والنصارى اليمينيون الآخرون، يعتقدون بأن الإنجيل فيه نبوءة تدل على العودة الوشيكة للمسيح بعد فترة حروب نووية وكوارث طبيعية، وانهيار اقتصادي وفوضى اجتماعية، وأنهم يعتقدون بأن هذه الأشياء لابد أن تحدث قبل المجيء الثاني للمسيح ويعتقدون بأن هذه الأشياء مبنية بوضوح في الإنجيل. وهم يستندون إلى نص من الإنجيل جاء فيه على لسان عيسى - عليه السلام -: «إذا سمعتم بحروب وأخبار حروب فلا تقلقوا، فإنه لابد أن يكون هذا، ولكن لا يكون المنتهى إذ ذاك، ستقوم أمة على أمة، ومملكة على مملكة، وتكون

الفصل الرابع

مجاعات وأوبئة وزلازل في أماكن شتى ، وهذا أول الخاض ، ولكن هذه كلها مبتدأ الأوجاع»^(١) .

وفي الحقيقة أن هذا الاعتقاد أصله في التوراة التي عند اليهود ، والنصارى تبعوهم فيه ، وجاءت الإشارة إليه في التوراة في سفر حزقيال . فعن قدوم قوى (الخير) تقول التوراة :

[بعد أيام كثيرة تفتقد في السنين الأخيرة ؛ تأتي إلى الأرض المستردة من السيف ، المجموعة من شعوب كثيرة على جبال إسرائيل التي كانت خربة للذين أُخرجوا من الشعوب وسكنوا آمنين كلهم ، وتصعد وتأتي كزوبعة ، وتكون كسحابة تغطي الأرض ، أنت وكل جيوشك وشعوب كثيرون معك] .

وتتحدث التوراة عن أوصاف ذلك اليوم :

[ويكون في ذلك اليوم يوم مجيء يأجوج على أرض إسرائيل - يقول السيد الرب - إن غضبي يصعد وغيرتي في نار سخطي ، تكلمت أنه في ذلك اليوم يكون ربح عظيم في أرض إسرائيل ، فتربح أممي سمك البحر وطيور السماء ووحوش الحقل ، والدبابات التي تدب على الأرض ، وكل الناس الذين على وجه الأرض ، وتندك الجبال ، وتسقط المعاقل ، وتسقط كل الأسوار إلى الأرض وأستدعي السيف عليه في كل جبالي . يقول السيد الرب : فيكون سيف كل واحد على أخيه ، وأعاقبه بالوباء وبالدم ، وأمطر عليه وعلى جيشه وعلى الشعوب الكثيرة الذين معه مطراً جارفاً وحجارة برد عظيم وناراً وكبريتاً ..]^(٢) .

(١) إنجيل متى (٩ / ٢٤) .

(٢) سفر حزقيال - الإصحاح ٣٨ .

وفي سفر حزقيال أيضاً - الأمر لحزقيال بأن يوجه الكلام إلى قوم يأجوج ومأجوج : [وأنت يا ابن آدم تنبأ على يأجوج وقل : هكذا قال السيد الرب : هأنذا عليك يأجوج رئيس روش ماشك^(١) وتوبال ، وأردك وأقودك وأصعدك من أقاصي الشمال ، وآتي بك على جبال إسرائيل ، وأضرب قوسك من يدك اليسرى وأسقط سهامك من يدك اليمنى ، فتسقط على جبال إسرائيل أنت وكل جيشك والشعوب الذين معك ، أبذلك مأكلاً للطيور الكاسرة من كل نوع ولوحوش الحقل ، على وجه الحقل تسقط لأنني تكلمت . يقول السيد الرب : وأرسل ناراً على مأجوج وعلى الساكنين في الجزائر آمنين ، فيعلمون أنني أنا الرب]^(٢) .

وتحدث التلمود أيضاً عن معركة الهرمجدون وجاء فيه :

[قبل أن يحكم اليهود نهائياً لا بد من قيام حرب بين الأمم ، يهلك خلالها ثلثا العالم ، ويبقى اليهود سبع سنوات يحرقون الأسلحة التي اكتسبوها بعد النصر ، وحينئذ تنبت أسنان أعداء بني إسرائيل بمقدار اثنين وعشرين ذراعاً خارج أفواههم ... !] .

وحتى بروتوكولات حكماء صهيون تتحدث عن هذه المعركة :

«إننا نقرأ في شريعة الأنبياء أننا مختارون من الله لنحكم الأرض ، وقد منحنا الله العبقريّة كي نكون قادرين على القيام بهذا العمل ، إن كان في معسكر أعدائنا عبقري فقد يحاربنا ؛ ولكن القادم الجديد لن يكون كفؤاً إلا لأيد عريقة كأيدنا . . إن القتال المتأخر بيننا سيكون ذا طبيعة مقهورة لم ير العالم مثيلاً لها من قبل ،

(١) يقول مفسرو التوراة المعاصرون أن (روش) هي روسيا ، و(ماشك) هي موسكو ، و(توبال) هي مدينة تبولسك الكبيرة في روسيا .

(٢) سفر حزقيال - الإصحاح ٣٨ .

والوقت متأخر بالنسبة إلى عباقرتهم»^(١).

ويتحدث الإنجيل أيضاً عن معركة الهرمجدون، وهو يتميز عن التوراة في حديثه عنها بأنه يعين الموضع الذي ستقع فيه هذه المعركة، جاء في سفر الرؤيا وعلى لسان عيسى - عليه السلام -: [ها أنا آتي كلص، طوبى لمن يسهر ويحفظ ثيابه لئلا يمشي عريانا فيروا عُريته، يجمعهم إلى الموضع الذي يدعى بالعبرانية (هَرْمَجْدُون)]^(٢).

وعن مقدمات حرب الهرمجدون وعلامات مجيء المسيح، جاء في الإنجيل أيضاً على لسان عيسى - عليه السلام -: [إذا سمعتم بحروب وأخبار حروب، فلا تقلقوا، فإنه لا بد أن يكون هذا؛ ولكن لا يكون المنتهى إذ ذاك، ستقوم أمة على أمة، ومملكة على مملكة، وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل في أماكن شتى، وهذا هو أول الخاض، ولكن هذه كلها مبتدأ الأوجاع]^(٣).

ولكن أصحاب هذا الاعتقاد يفسرون هذه النبوءات بتطبيقها على وقائع ومسميات، فيعتقدون أن بلاد الشرق قوة شريرة، وأن هذه القوة الشريرة ستقدم يوماً على حرب ضد قوى الخير ممثلة في إسرائيل وأشياعها من دول العالم النصراني الغربي، وهم يضمون المسلمين إلى جانب قوى الشر.

ومن الطريف أنهم يسمون دولاً بعينها ويجعلونها في مصاف القوى الشريرة التي ستشهد معركة مَجْدُون - منها: روسيا: (روش)، وموسكو (ماشك)، وإيران (فارس)، وأوروبا الشرقية (كور)، والقوقاز (توغارما)،

(١) بروتوكولات حكماء صهيون (ترجمة محمد خليفة التونسي)، البروتوكول الخامس ص ١٢٣.

(٢) سفر الرؤيا - الإصحاح (١٦/١٥).

(٣) إنجيل متى، (٩/٢٤).

وليبيا (لوبيّا)، والقرن الإفريقي مع جنوب اليمن (غومر)، والعراق (آشور وبابل) . . !

ومن العجب أيضاً أن الحديث عن «الهرمجدون» يُداول على نطاق واسع، وعلى أعلى المستويات وفي أدق القضايا العالمية، وأخطرها ما قاله المبشر [جيمي سواجارت] في برنامج تليفزيوني أذيع في ٢٢ سبتمبر ١٩٨٥ م: «يجب ألا نتوصل إلى أي اتفاقات مع الروس . . إن معركة (هرمجدون) مقبلة، ستقع هذه المعركة في سهل مجدو . . إنها مقبلة، في وسعهم أن يوقعوا كل معاهدات السلام التي يريدون . . كلها لن تنفع . . ! مشكلات أفريقيا لن تحل، مشكلات أمريكا الوسطى لن تحل، ومشكلات أوروبا لن تحل، بل ستصبح أسوأ . . حتى يأتي المسيح المخلص» .

وكان القس الآخر (جيرى فالويل) يركز طوال عقد الثمانينيات على استشارة مشاعر الناس وعواطفهم تجاه إسرائيل - على اعتبار أنها منطقة الأحداث الكبرى القادمة - في برنامجه التليفزيوني اليومي المسمى (العهد القديم) .

وكان ينظم رحلات دورية إلى الأرض المقدسة، يطوف فيها بالمسيحيين الإنجيليين في أنحاء القدس شارحاً لهم كيف ومتى ستحدث الأحداث العظام في هذه المناطق .

وقد قام (جيرى فالويل) برحلة إلى فلسطين عام ١٩٨٣ م، اصطحب فيها ٦٣٠ مسيحياً استقلوا الطائرة من نيويورك إلى تل أبيب وذهبوا إلى (مجدو) مكان المعركة المنتظرة .

وقال (جيرى فالويل) في خطبة ألقاها يوم ٢ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٤ م معلّقاً على اقتباس من سفر الرؤيا، ومشيراً إلى معركة مجدو: «إن هذه الكلمة

الفصل الرابع

(مجدو) تنزل الخوف في صدور الناس ، سيحدث اشتباك أخير ، وسيدمر الخالق هذا الكون» وقال : « وبالرغم من التوقعات الوردية وغير الواقعية من جانب حكومتنا بشأن اتفاقات كامب ديفيد بين مصر إسرائيل ، فإن هذه المعاهدة لن تدوم طويلاً». ثم قال : «من المؤكد أننا نصلي من أجل سلام القدس ، ومن المؤكد أننا نكن الاحترام لمن وقع اتفاقية السلام ، إنني أعلم وأنتم تعلمون أنه لن يكون هناك سلام حقيقي في الشرق الأوسط إلى أن يجلس المسيح يوماً على عرش داود في القدس» .

وهناك قس آخر وهو (بيلي جراهام) يركز في دعوته على أن يوم مجدو على المشارف ، وقد حذر عام ١٩٧٠م من أن العالم يتحرك بسرعة نحو معركة مجدو ، وأن الجيل الحالي قد يكون آخر جيل في التاريخ ، وقال إن أكبر معركة في التاريخ ستقع في هذا الجزء من العالم (أي الشرق الأوسط) .

ويقول المبشر (أوين) : «إن إرهابيين يهوداً سينسفون المكان الإسلامي المقدس ، وسيستفزون العالم الإسلامي للدخول في حرب مقدسة مع (إسرائيل) ترغم المسيح المنتظر على التدخل ، إن اليهود يعتقدون أن قدومه سيكون الأول ، ونحن المسيحيين نعلم بأن هذه ستكون زيارته الثانية ، نعم لا بد بالتأكيد من أن يكون هيكل يهودي ثالث»^(١) .

وعندما سئل (القس ديلوتش) : «إذا نجح اليهود الذين تؤيدهم ، ودمروا قبلة الصخرة والمسجد الأقصى فأدى ذلك إلى اشتعال نيران الحرب العالمية الثالثة ،

(١) راجع بتوسع هذه التصريحات وتصريحات أخرى مماثلة في كتاب (النبوءة والسياسة) ، و(الدين والسياسة في إسرائيل) ، لعبد الفتاح محمد ماضي ، و(البعد الديني في السياسة الأمريكية) ، للدكتور يوسف الحسن ، و(الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي) ، ماجد كيلاني ، و(الصهيونية المسيحية) ، لمحمد السماك .

فهل تعتبر نفسك من المسؤولين عن ذلك؟ أجاب قائلاً: كلا؛ لأن ما سيفعله أولئك اليهود هو إرادة الله».

وكما أسلفت؛ فإن الاعتقاد في معركة مجدو وأنها وشيكة الوقوع قد سيطر على قطاع عريض من النصارى ومنهم أشخاص اعتلوا أعلى كراسي المسؤولية في العالم، ومن هؤلاء الرئيس الأمريكي الأسبق «رونالد ريجان»، يقول الأمريكي (آندرو لانج) مدير الأبحاث في معهد الدراسات المسيحية بواشنطن: «لقد أجريت دراسة عميقة عن ريجان والاعتقاد بمجدو، ووجدت أن ريجان قد نشأ على ذات نظام المعتقدات التي نشأ عليها كل من (كلايد، وجيري فالويل، وجيمي سواجارت) ومبشرين آخرين، وإن لدى ريجان اعتقاد بهذا اليوم على الأقل إلى وقت قريب من توليه الرئاسة».

وقد عقد (لانج) مؤتمراً صحفياً نظمته معهد الدراسات المسيحية بواشنطن، وقال في المؤتمر: «إنني وآخرين من المعهد أردنا التحقق من أمر ريجان وأيديولوجية مجدو، بالنظر إلى إمكانية أن يعتقد رئيس ما - شخصياً - بأن الله قد قدر سلفاً حرباً نووية، هي إمكانية تثير عدداً من الأسئلة المخيفة، فهل سيؤمن رئيس معتقد بهذه الإمكانية بالتفاوض على نزع السلاح حقاً؟ وهل سيكون إذا وقعت أزمة نووية واعياً ومتعقلاً؟ أم أنه سيكون تواقاً للضغط على زرّ ما شاعراً بذلك أنه يحقق تخطيط الله المقدر سلفاً لنهاية الزمن؟!».

وفي الحقيقة فإن رونالد ريجان نفسه كان دائماً يشير إلى عواطفه الدينية المبكرة؛ إذ قال في مقابلة تليفزيونية مع المبشر جيم بيكر عام ١٩٨٠م: «كنت محظوظاً لأن أُمِّي غرست فيَّ إيماناً عظيماً أكثر بكثير مما أدرك في ذلك الحين».

وقال في تصريح علني آخر: «إن الكتاب المقدس يضم كل الإجابات على

الفصل الرابع

قضايا العصر ، وعلى كل الأسئلة الحائرة إذا ما قرأنا وآمنا ، إن الأموال التي نفقها في محاربة المخدرات والمسكرات والأمراض الاجتماعية ؛ يمكن توفيرها لو حاولنا أن نعيش وفق الوصايا العشر . . . لقد أخبروني أنه من بداية الحضارة سُنت ملايين القوانين ، لكنها جميعاً لم تصل إلى مستوى قانون الله في الوصايا العشر . . .» .

وكان ريجان يعارض بباعث من معتقده الديني مسألة الفصل بين الدين والسياسة التي يتبجح كثير من حكام المسلمين بالتغني بها . . يقول : «لا يوجد شيء اسمه الفصل بين الدين والسياسة ، وإن القائلين بهذا الفصل لا يفهمون القيم التي قام عليها المجتمع الأمريكي»^(١) .

ويبدو أن ريجان كان يذهب بعيداً في إيقانه من أن المسألة أصبحت مسألة وقت بالنسبة لمجيء يوم هزمجدون فقد كان يعتقد ألا عقبات هناك تحول بين ذلك اليوم وبين حدوثه ، قال ريجان لملز : «إن كل النبوءات الأخرى التي تعين تحقيقها قبل معركة مجدو قد حدثت ، والفصل ٣٨ من حزقيال يقول : [إن الله سيأخذ بني إسرائيل من وسط الكفار حيث سيكونون مشنتين ، ثم سيلم شملهم مرة أخرى في أرض الميعاد] ، وقد حدث هذا بعد قرابة ألفي سنة ، ولأول مرة في التاريخ فإن كل شيء مهياً لمعركة مجدو ، والمجيء الثاني للمسيح»^(٢) .

وفي السنوات القليلة الماضية ، ازدادت وتيرة الخوف من حدوث حرب عالمية ثالثة ، تكون أحداثها هي التطبيق الفعلي لأخبار الهرمجدون ، إضافة إلى كتاب (هول لندسي) (كوكب الأرض ، ذلك الراحل العظيم) الذي بيعت منه ١٨ مليون نسخة ؛ فقد أصدر (لندسي) نفسه كتاباً آخر عن الموضوع نفسه بعنوان : (العالم

(١) (الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي) ، إسماعيل الكيلاني ، ص ١١ ، مكتبة الأقصى ، قطر .

(٢) النبوءة والسياسة ، ص ٦٤ .

الجديد القادم) قال في مقدمته: «فكروا فيما لا يقل عن ٢٠٠ مليون جندي من الشرق، مع ملايين أخرى من قوات الغرب، يقودها أعداء المسيح... إن عيسى المسيح سوف يضرب أولاً أولئك الذين دنسوا مدينة القدس، ثم يضرب الجيوش المحتشدة في (هرمجدون) فلا غرابة أن يرتفع الدم إلى ألجمة الخيل مسافة ٢٠٠ ميل من القدس، وهذا الوادي سوف يملأ بالأدوات الحربية والحيوانات وجثث الرجال والدماء»^(١)!

وصدر كتاب على الشاكلة نفسها بعنوان (أسرار نهاية العالم)، وقد ألفه عدد من العلماء الغربيين، وهم: الدكتور الفرنسي (جان بيير) المتخصص في سيمولوجيا الانثربولوجي، والدكتور الإنجليزي (ديفيد) المتخصص في مجال المعلومات، والدكتور اليوناني (ديميتري) المتخصص في علم اللغويات، والدكتورة الإسرائيلية (ميريام) المتخصصة في علم اللاهوت، وقد استنبطوا من (سفر يوحنا) مادة كتابهم، وجاء في مقدمة الكتاب: «إن حضارتنا هذه ستكون ضحية مرة أخرى لجنون حرب عالمية ثالثة، لن تستغرق طويلاً، لأن الأسلحة الموجودة الآن نووية، وستحرك هذه الحرب يأجوج ومأجوج الذين تمثلهم الصين في هذا العصر، بما تملك من ترسانات نووية موجهة نحو الغرب».

هذا إضافة إلى موجة من الأفلام السينمائية ضخمة الإنتاج، والتي يقبل على مشاهدتها عشرات الملايين، وتدور أحداثها حول ملامح العالم في ظل حرب كونية نووية شاملة، مثل فيلم (الشتاء النووي) الذي عرض في بداية التسعينيات وآثار موجة من الرعب، وفيلم (الشبح) في نهاية التسعينيات الذي قُدر مشاهدوه

(١) لاحظ أنهم يعتقدون أن الحضارة المادية المعاصرة ستفنى بعد حدوث هذه الحرب، وأن الحرب ستعود بالخيال والرماع والأدوات والحيوانات!

الفصل الرابع

- كما ذكرت صحيفة الخليج (٢٣/٥/١٩٩٩م) بـ ٨٣ مليون شخص من الولايات المتحدة الأمريكية وحدها .

هذا . . ومما يدل على أن النصارى الإنجيليين في انشغال دائم بمعتقد حرب الهرمجدون ، أنه لما غزا العراق الكويت في أغسطس ١٩٩٠م روجّ اليمين الإنجيلي لدعاية مفادها أن هذه الحرب هي المقدمة الحقيقية لمعركة الهرمجدون ، وأن صدام حسين سيقود قوى الشر (لتدمير إسرائيل) ولكن تحالف قوى الخير سيهزمه!! وظنوا أن هذه المعركة ستفاعل حتى تتحول إلى حرب نووية عالمية ، فلما لم يحدث ذلك أسقط في أيديهم ، ويبدو أن عدم سقوط صدام حسين بعد عشر سنوات من انتهاء الحرب أقنعهم بأن تلك الحرب ما هي إلا حلقة من حلقات حرب الهرمجدون^(١) .

والعجيب أن كتاباً إسلاميين كتبوا ما يطابق هذه النظرية الغريبة! وكأن حديث اليهود والنصارى عن (الهرمجدون) هو حق بكل تفاصيله!! .

(١) انظر (المسيح اليهودي ونهاية العالم) ، تأليف رضا هلال ص ١٣٦ .

عاشراً: عقيدة البقرة الحمراء.. والهيكل

ومن العقائد المشتركة بين اليهود والنصارى البروتستانت بالذات، اعتقاد يقوم على حتمية ظهور بقرة حمراء خالصة قبيل قيام الساعة، يكون ظهورها علامة على قرب مجيء المسيح المنتظر، وقرب وقوع الهرمجدون، ويكون ظهورها دليلاً كذلك على أن هذا الأوان - أو ان الظهور - هو الوقت المناسب لبناء الهيكل الثالث، ويستمد أهل الكتاب هذا المعتقد من نص في التوراة التي بين أيديهم يقول: « وكلم الرب موسى وهارون قائلاً: هذه فريضة الشريعة التي أمر بها الرب قائلاً: كلم بني اسرائيل أن يأخذوا إليك بقرة حمراء صحيحة لا عيب فيها، ولم يعمل عليها نير^(١) فتعطوها (ألعازار) الكاهن، فتخرج خارج المحلة وتذبح قدماه، ويأخذ العازار الكاهن دمها بأصبعه، وينضح من دمها في وجه خيمة الاجتماع سبع سنوات، ويحرق البقرة أمام عينه، يحرق جلدها ولحمها مع فرثها، ويأخذ الكاهن ثيابه^(٢)، فالوظيفة الطقسية للبقرة الحمراء عند ظهورها يتمثل في أنه لا بد من تطهير شعب (إسرائيل) من النجاسة، حتى يتهيأ للتعبد في المعبد المقدس حال إقامته؛ لأنه وفقاً للتوراة فإن: «كل مالم يتطهر؛ فإنه ينجس مسكن الرب»^(٣) (أي الهيكل)، ولأن هذا الشعب - في اعتقادهم - قد تلبس بنجاسة عامة منذ عشرات القرون بسبب ماتسميه الشريعة اليهودية: (نجاسة الموتى) التي تنتج عن ملامسة أي شيء له علاقة بالأموات! .

(١) النير: هو الخشبة التي توضع على عنق الثور للحراسة، انظر لسان العرب، (٨/ ٤٥٩٣).

(٢) سفر العدد - الإصحاح ١٩ .

(٣) سفر العدد - الإصحاح ١٩ .

الفصل الرابع

إن هذه النجاسة العامة التي انغمس فيها (الشعب المختار) لا تزول - لسوء الحظ إلا برماد البقرة الحمراء المقدسة عندما تُذبح، وهي لن تُذبح إلا قبالة الهيكل عندما يقام أو يشرع في بنائه، جاء في التوراة التي معهم: [هذه هي الشريعة... إذا مات إنسان في خيمة، فكل من دخل الخيمة، وكل من كان في الخيمة يكون نجساً... كل إناء مفتوح ليس عليه سداد بعصابة فإنه نجس، وكل من مسَّ على وجه الصحراء قتيلاً بالسيف أو ميتاً أو عظم إنسان أو قبراً يكون نجساً]... [والذي مسَّ ماء النجاسة يكون نجساً... وكل ما مسه النجس يتنجس، والنفس التي تمس تكون نجسة] (١).

واليهود المعاصرون يطلقون على البقرة التي ستظهر في آخر الزمان وصف (البقرة الحمراء العاشرة)؛ لاعتقادهم أن تسع بقرات سابقة ظهرت في التاريخ اليهودي، وكان ظهورها جميعاً في عصور كان الهيكل فيها قائماً، فهم يقولون إنه قبل ألفي عام مضت في حقبة المملكتين اليهوديتين الأولى والثانية، تم مزج رماد بقرة حمراء صغيرة ذُبحت في عامها الثالث، وخلط دمها بالماء واستُخدم في (تطهير) الشعب اليهودي، ليصبح مهياً للدخول إلى الهيكل المقدس، ويعتقدون أيضاً أنه لم تولد طوال التاريخ الديني اليهودي بقرة بتلك الأوصاف منذ دُمر الهيكل الثاني عام ٧٠م، وعلى حسب التاريخ الديني اليهودي فإنه قد جرت التضحية ببقرة حمراء واحدة في زمن الهيكل الأول، وبثماني بقرات في زمن الهيكل الثاني، واليوم يستعدون لمرحلة الهيكل الثالث و زمان (البقرة العاشرة)، ومنذ فترة طويلة واليهود يحسبون لقرب زمان (البقرة العاشرة) ففي بداية هذا القرن الميلادي، عندما استشعر اليهود أنهم اقتربوا جداً من تحقيق

(١) سفر العدد - الإصحاح ١٩.

حلم الألفي عام بإقامة دولة لهم في بيت المقدس ، وبعد وعد بلفور بثلاث سنوات ، جرت مباحثات في عام ١٩٢٠م بين الاتحاد الصهيوني والسلطات الإنجليزية من أجل التوصل إلى صيغة لتسليم فلسطين لليهود بعد انتهاء الانتداب ، وكان من بين الموضوعات المطروحة للبحث : (ملكية جبل الهيكل) ، وطرح الجانب الإنجليزي في المباحثات سؤالاً : هل هذا المطلب عاجل أو آجل ؟ وما مدى اجتماع الشعب اليهودي حول هذا الطلب ؟ فأجابهم الحاخام (داف كول) قائلاً : يؤمن الشعب اليهودي كله إيماناً لا يتزعزع أن هذا المكان المقدس وكل جبل الهيكل هو مكان العبادة الأبدي للشعب اليهودي ، وبالرغم من أنه في حكم غيرنا الآن ، إلا أنه في النهاية سيقع تحت أيدينا ، ويوم تقع أرض الهيكل في أيدينا ، ستأتي إشارة من الرب (البقرة الحمراء) وبعدها نبدأ فوراً في البناء ؛ حيث تنبأ بذلك أنبياء بني إسرائيل^(١).

فظهر البقرة عندهم إشارة أو علامة ، أو آية تدل على قرب زمان الهيكل ؛ ولكنها - كما هو الأصل في ذلك المعتقد - أمر قدري لا يدبر . . ولكن متى كان اليهود وقافين عند حدود عقائدهم صحيحة كانت أو باطلة؟! ، لقد بذلوا مساعيهم لاستخراج هذه البقرة في السنوات الأخيرة ، حتى أعلنوا بالفعل عن ظهورها أو بالأحرى إظهارها .

بقرة ٩٦.. والإنذار المبكر:

في شهر أكتوبر من عام ١٩٩٦م ، أعلن في إسرائيل عن ظهور البقرة الحمراء ، وأعلن أنها ولدت في مزرعة (كفار حسيديم) قرب حيفا ، وعلى الفور

(١) صحيفة الشرق القطرية ، نقلاً عن صحيفة معاريف الإسرائيلية (١٣/٥/١٩٩٧م).

الفصل الرابع

ذهب وفد من الحاخامات لمعاينة البقرة المولودة لمقارنتها بالأوصاف المذكورة في التوراة، ثم أعلنوا وقتها أنها مطابقة لتلك المواصفات، وأمر الحاخامات بفرض حراسة مشددة عليها^(١) وبدأت وسائل الإعلام الغربية تربط بين ظهور البقرة وبين قرب بناء الهيكل وقرب مجيء المسيح، فعلمت صحيفة (الأوبزرفر) البريطانية في عددها الصادر في (٩/٧/١٩٩٧م) على أخبار البقرة قائلة: «سيكون الذبح الطقسي للبقرة الحمراء بعد ثلاث سنوات من ميلادها، بداية العد التنازلي للعودة الكبيرة لليهود إلى موقع عبادتهم السابق، وتبشيراً بمجيء المسيح المخلص».

وتبارى زعماء اليهود في إظهار مشاعر الابتهاج المزوجة بالقلق والترقب، فقال الزعيم اليهودي المتعصب (يهودا اتزيون) الذي كان متهماً رئيسياً في محاولة تفجير قبة الصخرة عام ١٩٨٥م: «إننا ننتظر منذ ألفي عام ظهور إشارة من الرب، والآن أرسل لنا البقرة الحمراء، وظهورها يعتبر أحد أهم الدلائل على أننا نعيش في زمن مميز، ولهذا فلا بد من الإسراع بإزالة مسجدي الأقصى والصخرة من جبل الهيكل ونقل بقاياهما إلى مكة»^(٢).

ودعا العديد من زعماء الجماعات الدينية داخل دولة اليهود إلى إلغاء الفتوى الحاخامية القديمة التي تحظر على اليهود دخول ساحات المسجد الأقصى، ووقعوا توصية بذلك في المؤتمر السابع لحركة (إعادة بناء الهيكل)^(٣)، وبالفعل استجابت لجنة من ٦٠ حاخاماً، وقررت تجاوز هذا الحظر إيداناً للاستعداد العملي لمرحلة بناء الهيكل، واحتجوا بأن لديهم مسوغات كافية تجعل من حق اليهود أن يصعدوا

(١) الأخبار المصرية ٢٥ إبريل ١٩٩٧م.

(٢) السياسة الكويتية (٣٠/١٠/١٩٩٧م).

(٣) الحياة (١٦/٩/١٩٩٨م).

إلى ساحة الأقصى الآن، وقال المتحدث باسمهم: «إن الحظر العام على الصعود؛ لم يكن يأخذ في اعتباره السابق الاكتشافات الأخيرة، وأبرزها: اكتشاف البقرة الحمراء»^(١) ولكن مع غلبة روح الفرح العام لدى جماهير اليهود المتدينين بل وغير المتدينين، بدأت الشكوك تتسرب إلى نفوس بعض الحاخامات حول استمرار تطابق أوصاف البقرة المكتشفة عام ١٩٩٦م مع أوصاف البقرة المذكورة في التوراة خاصة، وأن بعض الشعيرات البيض ظهرت على رموشها ونهاية ذيلها!

ولكن الكلام عن تلك البقرة التي أطلق عليها اسم (ميلودي)؛ فتح الكلام على المستوى العام عن عقيدة البقرة العاشرة وما يرتبط بها من شعائر وطقوس، بل إنه أطلق في واقع الأمر سباقاً بين أثرياء اليهود لإنشاء مزارع لتربية هذا النوع من البقر الذي تغلب عليه الحمرة، والمعروف بسلالة (ريد نفوس) عسى أن يصادف أحدهم الحظ فتخرج بقرة الزمان من مزرعته.

وكان كاهن أمريكي يدعى (كلايد فوت) من المنتمين إلى حركة الهيكل الثالث قد تعهد منذ سنوات على وقف جهوده للعثور على بقرة بالموصفات الدقيقة المذكورة في العهد القديم، ونذر نفسه للمساعدة في أي مشروع بإعادة تأهيل الهيكل للعبادة، وقد أنشأ مزرعة بالفعل في ولاية ميسيسيبي الأمريكية لتربية الأبقار من سلالة (ريد نفوس) مستجيباً في ذلك لنصيحة من الحاخام الإسرائيلي (حاييم ريتشمان) الذي يعمل في معهد (الهيكل المقدس)، ثم أنشأ الكاهن (كلايد فوت) فرعاً لهذا المزرعة في مدينة حيفا بالأرض المحتلة، تحسباً لاكتشاف البقرة المنتظرة.

(١) الأنباء الكويتية (٩/٧/١٩٩٨م).

الفصل الرابع

هذا وقد كان المفترض أن تذبح البقرة (ميلودي) حسب الطقس اليهودي - بعد ثلاث سنوات من مولدها - على اختلاف في تعيين هذا الموعد - فكان المعلن أن تذبح إما في يناير ٢٠٠٠ للميلاد أو في أغسطس من العام نفسه، ولما لم يحدث ذلك، فالظاهر أن اليهود قد عدلوا عن (ميلودي) ريثما تظهر بقرة جديدة.

والذي يهمنا هنا، أن الاعتقاد اليهودي بحتمية ظهور بقرة حمراء لتأهيل اليهود للعبادة في الهيكل، سيدفعهم بلا شك، للاستماتة في البحث عن بقرة تحمل نفس المواصفات المذكورة في التوراة، وهذا الأمر وإن كان يمثل عند البعض منا لونا من الأخبار الغريبة. . وربما المضحكة، إلا أنه في الحقيقة يحمل في طياته بذور فتن وتطورات خطيرة، يمكن أن تحدث مع خروج البقرة الموعودة من الحظيرة.

ومن العجيب أنه في أواخر شهر أغسطس من عام ٢٠٠٠، ظهرت أخبار أخرى عن العثور على بقرة أخرى في ولاية تكساس الأمريكية، وكانت صحيفة (يديعوت أحرونوت) قد أشارت إلى ذلك في (١٦ / ٩ / ١٩٩٨ م) وادعت أنها ستُنقل إلى القدس قريبا. ولكن الظاهر أنهم آثروا في هذه المرحلة أن يحيطوا بالحادث بالكتمان، حتى يتقنوا من تطابق الشروط على ما يعدونه آية الزمان. . البقرة الحمراء.

* * * *

تنبيه:

أحسب بعد عرض تلك الخلفيات الاعتقادية للصراع عند اليهود والنصارى، أن القارئ الكريم، سيبادر بالسؤال: وماذا عن تلك العقائد في المنظور الإسلامي، وما هو مقابلها الصحيح الصريح في ديننا الحنيف ونصوصه المعصومة من التحريف؟

والجواب: إن هذه المسائل لا يتسع لها المقام هنا في هذا الكتاب، والمؤلف الآن بصدد إعداد بحث علمي في هذه المسائل، أسأل الله أن ييسر إتمامه.